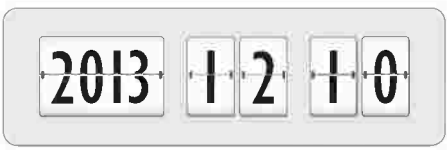

عندما فاز بل بمدته السادسة حاكمًا، راودتني مشاعر ملتبسة؛ كنت متعبة وشاعرة بالسأم من كوني آركنسوية، وتواقة لأشياء أكبر لنا، كنت جالسة بجانب محترف سياسة مثلي يدعى سكيب روثر فورد، ومراقبة لتشلسي وهي تغطي القاعدة الثالثة، حين قال إنه يظن أن جورج سيعاد انتخابه، كان ردي عليه: «لست واثقة من ذلك».

كنت واثقة فعلًا، غير أنني لم أكن مستعدة لإطلاع سكيب على السبب.

في أيار/مايو عام 1991م ألقى بل أخطر خطاب في حياته، كان بل صاحب الخطاب الرئيس في حفل الدي إل سي للحزب الديمقراطي في المؤتمر القومي بكليفلاند، عكفنا؛ هو وأنا، الليل كله على تفصيل الصفات المميزة للحزب الديمقراطي الجديد؛ عدنا مترابطين عبر معشوقنا الأول: تمني تغيير العالم لما هو أفضل. قبل الخطاب، كتب بل ثلاث كلمات على قصاصة ورق: فرصة، مسؤولية، ألفة. راح تلقائيًّا يلقي خطابًا حماسيًّا أمام جمهور صاخب التصفيق. ما من أحد يستطيع إجادة الخطابة مثل بل حين يتكلم من القلب. تم تلقف الخطاب.

كان بل يتحدث مع صديقه ماكس بانتلي حين سأله الأخير عما إذا كان سيترشح للرئاسة، أجابه بل: «هيلاري تريدني أن أفعل». رد عليه ماكس: «حسنًا، أظن إذن أنك ستدخل السباق». ابتسم بل ولم ينف.

كما قلت كنت متعبة وشاعرة بالسأم من كوني زوج حاكم ولاية، وبحاجة إلى شيء أكبر؛ كنت راغبة في جعل منبري قوميًّا شاملًا للوطن، ذات يوم كنت مستيقظة باكرًا وجالسة في السرير أعاين بل الذي لايزال غاطًّا (مستغرقًا) في النوم، لمسته برفق وقلت لا بد له من أن يفعل.

تثاءب وسأل: «يفعل ماذا؟ يترشح للرئاسة؟ هل تعرفين مدى صعوبة ذلك يا هيلاري؟».

قلت: «أعرف، أنا مستعدة».

غير أن ألوان عدم إخلاص بل كانت لاتزال قضية تنتظر حلًّا قبل الانخراط في العملية. لسوء الطالع، انتهزت جنيفر فلورز تلك الفرصة لتوافق مقابل مئة ألف دولار على سرد قصتها المثيرة للغثيان لما ادعتها علاقة حب دامت اثنتي عشرة سنة مع بل على صفحات مجلة ستار الصفراء، كان العنوان صارخًا! وتحدثت عن بل بوصفه ناجحًا جدًّا، ولكن من دون امتلاك مواهب استثنائية. شعرت بما يشبه القرصة في بطني، غير أني قررت أن من الأفضل عدم المبادرة إلى الدفاع عن بل، لم تكن ثمة أي بتسي رايت هذه المرة تتولى تلقين فلورز درسًا وطردها من البلدة.

بل وأنا ناقشنا الموضوع وقررنا أن أفضل الحلول هو أن يقدم على الاعتراف علنًا بوجود بعض الخيانة الزوجية في ماضيه، وبندمه الشديد جدًّا إزاء ذلك، شعرنا بأن من شأن هذا أن يشكل نوعًا من التحصين العام.

صديقتي الحميمة؛ المحامية النيويوركية سوزان توماسيز جاءت جوًّا لتنصح بعدم إنكار إقامة علاقة مع فلورز. استطلاعات الرأي كانت تشير إلى أن لدى

(19) بالمئة من الناخبين تحفظات بشأن الاقتراع لرجل لم يكن مخلصًا في حياته الزوجية، غير أن من شأن تلك الأرقام أن تتقلص تقلصًا كبيرًا إذا كانت زوجه قابلة به رغم حماقاته، ومن أجدر من زوج بل العاقلة، المتوازنة، اللامعة، الشقراء خريجة ويزلي وييل في القانون لقول ذلك؟

في أثناء إحدى المقابلات التلفازية، برنامج (ستون دقيقة) اعترف كلنتون بأنه قد أخطأ وآلمني، عبَّر عن الأسف لتصرفاته واعتذر، واعدًا بعدم تكرار ذلك أبدًا. قال إننا مرشحان لأن نبقى معًا ثلاثين أو أربعين سنة، سواء أترشح للرئاسة أم لا. كان أداؤه عظيمًا! بدد بل موهبته. كان عليه أن يصبح ممثلًا.

ثم سأله المذيع عن تفاصيل محددة من مغامراته، تدخلت بسرعة وقلت كان عليه ألا يكون أكثر تحديدًا؛ ذلك جزء خاص من حياتنا.

أعطتني بتسي علامة مئة على تعليقاتي، وقالت إني كنت قد عرفت أنني لم أكن ضحية سلوك بل. كان من شأننا إذن أن نكون قادرين على مواصلة العيش معًا. ابتسمت هيلاري وقالت: يجب أن أقول لك دكتورة: إنني كنت فخورة بنفسي أيضًا؛ فعلى الرغم من أن قلبي كان ينفطر، فإنني بقيت قادرة على القيام بالشيء الصحيح وعلى توفير إمكانية انتخاب بل رئيسًا لجمهورية الولايات المتحدة. ثمة أساليب كثيرة يمكن لأي امرأة اتباعها لإظهار حبها لزوجها؛ لعل أحدها هو الاكتواء بنار العبودية الذليلة لإعداد أطباقه المفضلة.

وأسلوب آخر يتمثل بالخروج معه والسهر إلى ساعة متأخرة من الليل فيما عظامها المرهقة تصرخ: لا أريد غير الذهاب إلى النوم!

أسلوب ثالث يكون بإقامة الحفلات لزملائه وهي تمقت استضافتهم. أقف خلف بل بلا أي شروط حتى حين لا أكون موافقة على تصرفاته، بغية المساهمة في تحقيق ما نصبو إليه كلانا أكثر من أي شيء آخر في العالم. كانت أمي تقول

حين نسيء التصرف، وأقول أنا لزوجي الطفل: «لا يعجبني ما تفعله، إلا أنني سأبقى دائمًا أحبك على أي حال».

ما الرأي الذي كوَّنتُه أنا المحللة عن فلسفة الحب عند هيلاري؟ جل زميلاتي وزملائي من شأنهم أن يعدوها ممكِّنة، دائبة، من خلال التظاهر بالصفح عن سلوكه، على تمكينه من مواصلة هذا السلوك. لم أتمكن من التنبؤ بما سأحس به مستقبلًا، أما في اللحظة لم أستطع إلا أن أنظر إليها بإعجاب، وأرى أن بل كلنتون هو بالفعل رجل محظوظ جدًّا.